إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي

" المغرب نموذجاً "

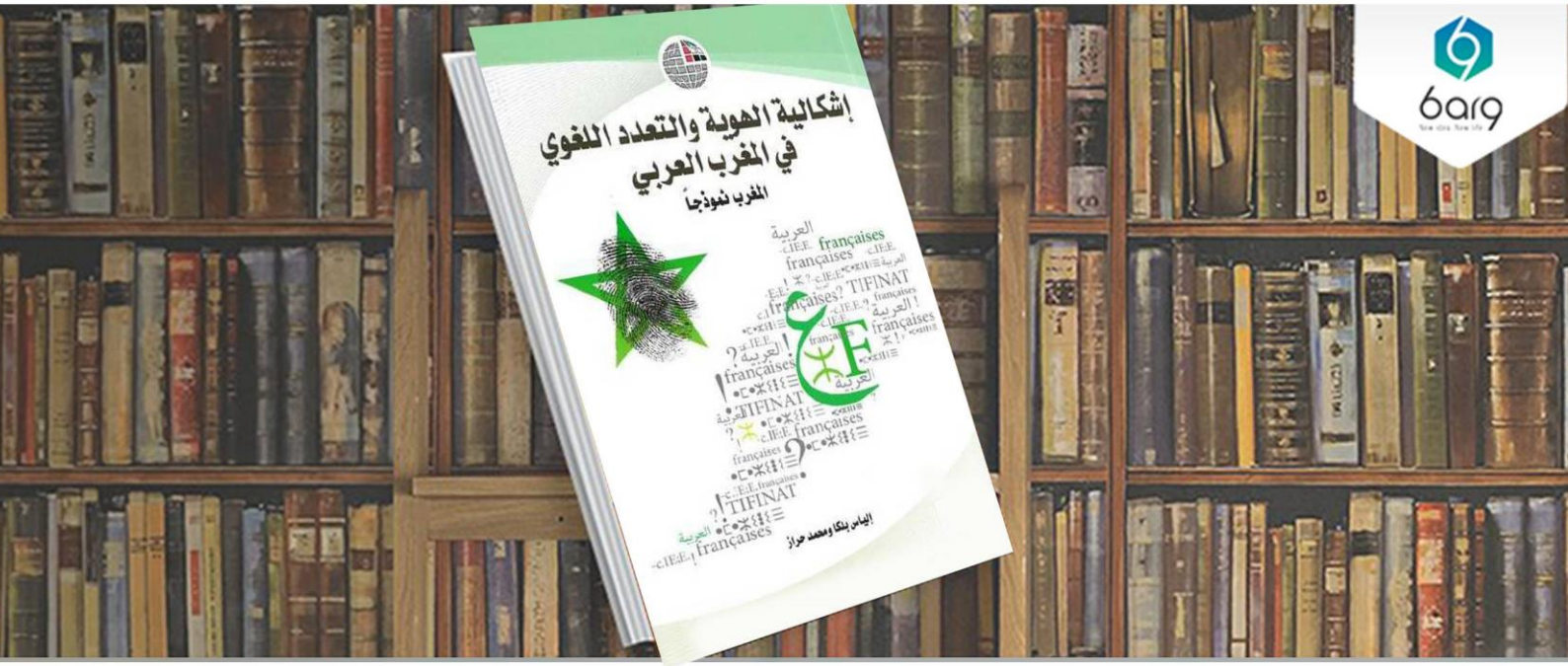

قراءة في كتاب

الكاتب: إلياس بلكا ومحمد حراز

عرض: بيان الشيخ

barq-rs.com
fb.com/barqrs
info@barq-rs.com
twitter.com/barq_rs

00905373505576
00902125508748
Akşemsettin, Fevzi Paşa.Cd
No:33,34080 Fatih/İstanbul

يـ سعى هذا الكتاب لتقديم صورة شاملة ومركزة عن الو ضع اللغوي المُركّب بالمغرب في علاقته بقـ ضية الهوية. كما سعى لطرح قـ ضية التعليم وهي لا تنف صل عن مـ سألة الهوية واللغة، لذلك فمو ضوع الكتاب ذو ثلاثة أطراف، فالسياسة اللغوية هنا تتحدد بناءً على التصور الذي تحمله المجتمعات المغاربية عن كينونتها التاريخية وصيرورتها المعاصرة.

وقد ناقش الكتاب كيف استغل الاستعمار حتى بعد رحيله هذه العلاقة بين الهوية واللغة في بسط نفوذه وتحقيق مصالحه، مما كان له بالغ الأثر السيئ على هوية المغرب العربي. واعتمد الكتاب بشكل ملحوظ على تصورات المفكرين والكتاب العرب في عرض قـ ضيته، مما ساعد في معرفة أبعاد المو ضوع، فنحن بـ صدد درا سة تتبنى منهجاً علمياً ومُحاولة لاستخلاص ما يُمكن استخلاصه من أفكار حتى نصل إلى نتائج موضوعية بشأنها.

اســـتهل الفصـــل الأول من الكتاب بالحديث عن **هوية المغرب بين الأمس واليوم**، مُبيناً **مفهوم الهوية** الذي كثُر الكلام عنه في مجمل العلوم الإنـ سانية، فـ صار من الـ صعوبة بمكان تعريفه تعريفاً دقيقاً، لكن المراد كما أ شار هذا الكتاب هو الهوية الثقافية لجماعة بشـــرية معينة، فجوهر الهوية الجماعية هو الثقافة، فـــــ "هناك إذن هوية جماعية تـ ستمد ملامح مقوماتها من ثقافة المجتمع، على اعتبار أن الثقافة تُـ شكل المجموع المنـ سجم والمـ ستمر للمعاني والرموز المـ شتركة التي تعمل الجماعة على تو صيلها وإعادة إنتاجها من خلال مختلف القنوات التي تنـ سجها من أجل هذه الغاية" ص١٨، فمن أ سباب انتـ شار المفهوم عالمياً كما علل الكتاب: الفردانية فنحن في عـ صر الهويات ولم تبق مـ سألة الهوية محـ سومة مما أوجب تعينها، كما العولمة والحداثة التي غالباً ما تـ سير في اتجاه واحد يأتي من الغرب للشرق ص١٩، بالإضافة إلى الأزمات والتحديات الحضارية وتحديداً ما يخص العالم العربي ومكانته، كما أن الوعي الديموقراطي في العالم وثقافة حقوق الإنسان فرضا الاعتراف بقيمة التعددية الحضارية مما دفع الشعوب للمطالبة بالمحافظة على ثقافتها من خلال إبراز هويتها، وأخيراً عامل يخص الأمم التي سبق استعمارها ص٢٠.

ثم يناقش الكتاب **العلاقة الوثيقة بين الهوية واللغة**، فاللغة وعاء الفكر وأداة التفاهم والتواصـــل الاجتماعي، فهي عنوان الهوية للفرد والمجتمع كما أنها أداة ربط بالثقافة والحضارة ص٢١.

أمّا ما يخص **الهوية المغربية** فقد عمل الاستعمار على شق صف المغاربة، لهذا نوه الكتاب لأهمية الظهير البربري في تنبيه المغاربة للأخطار المهدِدة لهويتهم، فمنذ ذلك التاريخ أضحت القضية موضوعاً رئيسياً للتفكير والنضال لدى الباحثين. كما أن الإصلاح مدخل هام لصون الهوية واسترجاع العزة، وليس إصلاح الدين فحسب، بل إصلاح التعليم ولغته العربية ص٣٠. كما أشار الكتاب إلى الجذور التاريخية للهوية المغربية، ثم أتى على ذكر مكونات الهوية المغربية وخصوصيتها وهما كما رأى "علال الفاسي" الأرض وروح العصر، أي الرغبة الدائمة في التجدد والتحول، أمّا بالنسبة للأرض فهي تتصل جغرافياً بأوروبا شمالاً والمشرق شرقاً، ولكن انفتاحها على العالم كان براً لا بحراً ص٣٣، فالتوجه الشرقي للمغرب قديماً، ويرجع نجاح الفتح العربي وفقاً لنظرية مشهورة في اكتساب شمال أفريقيا إلى الأصل الإثني الواحد للعرب والأمازيغ، أو لاشتراكهما في ثقافة واحدة أو متقاربة.

ومكانة الإسلام في الهوية المغربية عظيمة حتى قال أحدهم "من دون الإسلام يجد المغربي نفسه من دون بوصلة ولا مرساة" ص٣٥، ولقد كانت للمغرب خصوصية من حيث ممارساتها للإسلام، كما أن خصوصية المغرب الوطنية لا تؤثر على انتمائها العربي، ومما لا شك فيه أن شعور الانتماء للعروبة تراجع إلى حد ما في الآونة الأخيرة، لكن قيمة الانتماء العربي مكسب تاريخي لا لاعتبارات تتعلق بالهوية والتاريخ وفقط، بل لاعتبارات مصلحية بحتة أيضاً، وقد طرحها الكتاب بشيءٍ من التفصيل، كما استحضر الكتاب روافد أخرى لهوية المغرب الوطنية.

ثم سلط الكتاب الضوء في الفصل الثاني على **العربية: مقوماتها ووضعيتها اليوم**، فمنزلة اللغة العربية اليوم تعيش أزمة حقيقية، فقد عمل الاستعمار الفرنسي على إقصاء اللغة العربية وتهميشها في مقابل ترسيخ الفرنسية في المجالات ذات الفاعلية في المجتمع كما وصفوها بالجمود والرجعية، ولقد دافع العديد من علماء اللغة عن العربية بأقلامهم الفيّاضة تحت أسماء مستعارة في مجالات الكتابة، وما انفكوا يواظبون على ذلك بروح نضالية تؤازرها الخبرة العلمية والتأصيل المعرفي في سبيل إعلاء قدر اللغة العربية والذبّ عن حماها (١)، وأمّا عقب الاستقلال فقد تعثرت حركة التعريب، بعد ما عمل المغاربة على تأسيس مدارس وطنية تُقر اللغة العربية وتأسيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، نتيجة ظاهرتين هما الجهل باللغة لا ضعف التكوين اللغوي للقائمين بالتعريب وظاهرة التقصير في ضبط كل لغات القبائل العربية وإضافة الألفاظ المولَّدة التي يحتاج إليها واقع العصر ص٥٣، كما أتى الكتاب على ذكر أبرز **المعوقات والتحديات التي واجهت سياسية التعريب**.

(١) عبد السلام المسدّي، ٢٠١٤، الهُويّة العربية والأمن اللغوي: دراسة وتوثيق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ص٣٥.

ولعل من أهم **مقومات اللغة العربية** في عصرنا كما أورد الكتاب طابعها القدسي ورمزيتها الإسلامية وأنها لغة تتميّز بقوة الناطقين بها عددياً كما أنها لغة رسمية لدى ٢٢ دولة عربية، فرسميتها تمتد إلى مؤسسات دولية وإقليمية ص٥٧،والغريب كما ذكر د. بدوي الشيخ أن هذه الحرب المتواصلة على اللغة العربية والهزيمة النفسية للعرب تجاه لغتهم تتنامى؛ في نفس الوقت التي تتمتع به الفصحى بخصائص كثيرة تفوق كل اللغات (٢)، كما سعى الكتاب لإبراز الوسائل التي اقترحها الباحثون الأكاديميون للنهوض باللغة العربية.

والدعوة إلى العاميّة في المغرب كان موضوع الفصل الثالث من الكتاب، فقضية الدارجة المغربية أضحت سبيل الفرنكفونية والتيار المناهض للغة العربية لمحاربة الفصحى، في ظل تأمر لغوي فرنسي نهج سياسة لغوية قوامُها انتشار اللهجات العامية، ولم يقف الأمر على المغرب فقط بل تعداه في الوطن العربي، فتلك الدعوة ارتبطت في العصر الحديث بظروف احتكاك المجتمعات العربية عن طريق البعثات الثقافية ص٦٤، وذكر الكتاب كيف نادى مفكرون مصْريون وشاميون باستخدام العامية واتهموا الفصحى بشتى التهم، كما وضح الفارق بين "اللغة" و"اللهجة" فإن كل لغة تعرف ظاهرة الازدواج اللغوي القهري لتلقائية اللغة العامية وشعبيتها، في هذا السياق يقول محمد شفيق أن تداخل المعاجم أمر مألوف معروف عند اللسانيّين لأن اللغات منشآت اجتماعية "حية" تتعامل فيما بينها وتتبادل "الخدمات"، ولذا لا يمكن لمتكلمي لغة ما، أن يدعوا أن لسانهم لم يتأثر بلسان آخر في معجمه (٣). فمصطلح "لهجة" أدق من "اللغة العامية" لأن اللهجة فرع من الأصل وليست لغة مقابلة، وقد عزى علماء اللغات تفرع اللغة إلى لهجات إلى عوامل أشار إليها الكتاب أيضاً. وأشار إلى اشتراك العامية المغربية في خصائص مع باقي اللهجات العربية، كما يقول محمد شفيق أن الدَّارجة المغربية حرّفت عدداً مهماً من الكلمات العربية عن معانيها الحقيقية، وذلك لأن من أخذها أول الأمر عن العرب كان أمازيغيّ اللسان فهم كل كلمة منها في ظروف معينة أوحت إليه بمدلول لتلك الكلمة غير مدلولها الحقيقي الدقيق (٤).

---

(2) د.بدوي الشيخ، ٢٠٠٩، سلسلة منار الشباب: الهوية ج٣، دار الأندلس الجديدة، مصر، ص١٧.
(3) محمد شفيق، ١٩٩٩، الدارجة المغربية: مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ص٣١.
(4) المرجع السابق رقم ٣، ص٣٣.

ومن المثير للجدل بروز **ظاهرة الدعاة الجدد إلى العامية**، فقد اعتمدوا على عدة دعاوى واهية لتنافيها مع الواقع وافتقارها الحقيقة والتي كان من أهمها ص٧٢:

*اعتبار العامية المغربية لغة قائمة بذاتها ومستقلة عن الفصحى.

*ادعاء أن العربية الفصحى لغة وافدة إلى المغرب.

*شبهة اختلاط الخط المغربي عن الخط المشرقي.

أمّا **الفرنكفونية ومكانة الفرنسية في النظام التعليمي** فكانت موضوع الفصل الرابع، فاستعمار فرنسا قرابة النصف قرن أحدث نقلات فارقة في جميع المجلات الحيوية في المغرب، فتأسيس تعليم عصري نخبوي عِماده الفرنسية كان على رأس المخطط الاستعماري، حتى أنه لم يتغير عقب جلاء الاستعمار بل ظهرت "الفرنكفونية" كأيديولوجية فرضها الفرنسية كما يسعى الفرنسيون دائماً لفرض لغتهم بخلاف الإنجليز ص٧٩، كما تعتبر نفسها أيضاً حامية للتعدد اللغوي، وكما ساق عبد السلام المسدّي شيئاً أضحى عند المؤرخين والاجتماعيين والسياسيين كالمعلوم بالضرورة، محتواه أن الاستعمار الفرنسي قد خالف الاستعمار البريطاني في أنه كان استعماراً ثقافياً ولغوياً بالقوة نفسها التي كان بها استعماراً سياسياً واقتصادياً (٥)، وقد وصف عبد الإله بلقزيز فرنسا باختيارها الاستعمار الثقافي أنها أَحَدَّ ذكاء من سائر الدول الاستعمارية التي شغلتها شهية النهب الاقتصادي للخيرات عن إحراز أهداف أخرى بعيدة المدى وعظيمة العوائد، بإدراكها أن حقبة الاحتلال الاستعماري حقبة انتقالية في تاريخ البشرية لا تلبس حتى تنكفئ إلى حدودها يوماً ما بعد تحقيق مقاومة الشعوب المستعْمَرة القدر الضروري من التراكم الذي به تُجبِرُها على ذلك الانكفاء، لذلك انصرفت بعناية إلى توفير شروط ديمومة سيطرتها في المستعمرات حتى بعد اضطراراها للجلاء عنها (٦)، وقد لفت الكتاب الانتباه إلى مسألة مهمة هي عدم إمكانية حصر الفرنكفونية في الناحية اللغوية – الاجتماعية، فهي أيضاً مشروع جيوبوليتكي وسياسي، حتى إن بعض الباحثين الفرنسيين أطلق عبارة الدفاع عن اللغة الفرنسية مسألة تتعلق بالدفاع القومي. كما لا يجوز أن ننسى أن الغرب يعد المغرب العربي منطقة

(٥) المصدر السابق رقم ١، ص٣٦٠:٣٦٥.
(٦) تحرير: عبد الإله بلقزيز، ٢٠١١، الفرنكفونية: أيديولوجيا، ثقافات، تحدّ ثقافي– لغوي، حلقة نقاشية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ١٩، ٢٠.

نفوذ خاصة بفرنسا ص٨١. هذا وقد نجح الاستعمار في تكوين نخب فرنكفونية تدافع عن مصالحه وتعتبر الفرنكفونية من مكونات الهوية المغربية.

ومما يدعو للعجب **ترسيخ الاستقلال للتبعة اللغوية**، فـ "الاستقلال" لا الاستعمار هو المسهم الرئيسي في نشر الفرنسية بالبلد ص٨٦، ومن أسباب ذلك كما قال أحدهم أنه "بعد استعادة اللغة العربية لدورها في المدرسة كأداة أساسية للتلقين، يصبح دور اللغات الأجنبية أكثر وضوحاً وأيسر تقبلاً من طرف الرأي العام" ص٨٧، كما سجل الميثاق الوطني للتربية والتكوين تراجعاً بدعوته إلى تدريس المواد العلمية في التعليم الثانوي بالفرنسية بحُجة أن الحاصل على البكالوريا يُمكنه متابعة دراسته الجامعية ص٨٨. ومن وظائف الفرنكفونية بالمغرب كما عرض الكتاب إثارتها لبعض المشكلات، فالفرنسية أصبحت أداة للتمييز الطبقي والاجتماعي، كما شكلت إعاقة فعلية للتنمية والتطور الاقتصادي ص٩١، علاوة على "فشل" التعريب، ومن وظائفها أيضاً تمييز الأمازيغ وتشجيع العامية. وقد استشرف الكتاب مستقبل الفرنسية بالمغرب، كما رأى الحل المطلوب لمعضلة الفرنكفونية في الديموقراطية وتحكيم الشعوب مصيرها ص٩٥.

وقد أختص الفصل الخامس بالحديث عن **الأمازيغية**، فقد اعترف العديد من أقطاب الخطاب الأمازيغي أن الأمازيغ عرَّبوا أنفسهم، لكن هذا التعريب لم يكن شاملاً فقد "أصبحت بلاد البربر مسلمة في أقل من قرنين (السابع والثامن) على حين أنها لم تستعرب نهائياً إلى اليوم" ص٩٨. ومع ذلك فقد كانت سياسة التعريب هذه من أكبر العوامل التي أدت إلى انحسار الأمازيغية بالإضافة إلى نهاية العزلة الجغرافية، واندثار البنيات الاجتماعية التقليدية، وحركة السكان في كل اتجاه وغيرها ص٩٩.

ثم روى الكتاب **لمحة تاريخية عن الحركة الأمازيغية** وكيف تعايش البربر قروناً داخل المجتمع المغربي، ولكن الجدال حول الشخصية المستقلة والهوية ظهر في العصر الحديث وأضحى من القضايا الهامة المطروحة في المغرب اليوم، فالأمازيغية بالنسبة إلى دُعاتها منظومة ثقافية ولغوية، وتدريس الأمازيغية هو المفتاح السري للفكر المغربي والعلوم بينما يكون فَهم الدين أكثر بالتعمق بالعربية ص١٠٢، لهذا فموقف التيار المحافظ منهم يرى الإسلام جزءاً من الهوية وهو أساسها العقدي لكنهم مسلمون عجم كالفرس والأتراك، أمّا مَنْ يعادون الإسلام يرون أن الأمازيغ بدون الإسلام سيكونون شيئاً أخر فهو العامل الذي غيّر ألسنتهم. وقد رأى محمد الكوخي أنه منذ ظهور الحركة الأمازيغية والكلام يكثر في أوساطها عن "اللغة الأمازيغية" ودورها في تشكيل وعي الإنسان في المنطقة وثقافته وتاريخيه ...

إلخ، بل إن البعض يختصر القضية الأمازيغية بمجملها في مسألة "اللغة الأمازيغية" إلى درجة التماهي المطلق بينهما، لكن هناك عدداً من الإ شكاليات المرتبطة بتلك اللغة نف سها وو ضعيتها المعقّدة والمركّبة، وذلك في إطار أكبر من التعقيد والتشعب الذي تعرفه قضية الهوية اللغوية لسكان المغرب الكبير عموماً (٧).

ومن هنا انتقل الكتاب إلى **إشكالية الأصول التاريخية للأمازيغية ومشروع المَعْيَرة**، حيثُ توجد مجموع كبيرة من اللهجات الأمازيغية تحتاج في وصفها إلى دراسات ميدانية مقاربة، لذلك عمِلوا على "المَعْيَرة" أي توحيد المعايير وتأ سيس لغة أمازيغية واحدة، فهو تركيب تقوم به الدولة الوطنية "قرار سيا سي" والمهم فيه أن تعترف الجماعة بهذه اللغة وتستخدمها في حياتها اليومية ومؤسستها المختلفة، فهي الشرط الأول لتؤدي دورها في التواصل اليومي والمعرفي فيكون لها بذلك مكانتها بين اللغات ص١٠٨، وقد لفت محمد الكوخي الأنظار إلى أن عملية التوحيد هذه ضرورية للغاية بالنسبة إلى هذا النزوع القومي، حتى يكون بمقدوره تبرير مقولاته بشأن الأرض واللغة والتاريخ، وهي المقولات التي يقوم عليها خطابه الكامل. أمّا الخطوة المنطقية التالية التي تأتي بعد "توحيد الذات" فهي بالضرورة عزلها عن "الآخر" الذي جرى اختصاره في المكوّن الثقافي العربي وصار يُوصَف بكونه "دخيلاً" في مقابل الذات الأمازيغية "الأصلية"، ضمن ثنائية عربي/ أمازيغي التي ستصبح عنواناً للصراع القومي على هوية الإنسان في بلاد المغرب الكبير (٨).

وعموماً لم يخلُ أمر المَعْيَرة من السلبيات التي تتلخص في القضاء على التنوع اللساني والإضرار باللغة الأم علاوة على ازدواجية لغوية جديدة بين لغة مكتوبة وأخرى شفهية وكيفية التوفيق بين هدف مَعْيَرة واحدة وبين احترام الاختلافات اللهجية في المعجم والصوت والتركيب، لذا انقسم الأمازيغيون في التعامل مع هذه الإشكالية ص١٠٩.

وقد بذلت الحركة الأمازيغية جهوداً في تدريس الأمازيغية بالمدرسة المغربية، فقد ناقش الكتاب مسوغات الاعتراف بالأمازيغية وتدريسها في الخطاب الأمازيغي والمبادئ الموجهة لتدريسها ومشكلة الحرف في الكتابة. وقد دعا المرصد الأمازيغي إلى أهمية دمج اللغة الأمازيغية بثقافتها من أداب وفنون وعادات وإدراجها في التعليم، كما صاغ المؤرخ الكبير "العروي" م ستقبل للأمازيغية وتوقع نجاح الأمازيغية في توحيد اللهجات وأن يتو سع نطاق ا ستعمالها فلا يمكن تجاهل النتائج المترتبة على ذلك من الكلفة الاقتصادية والتمايز على مستوى النخب.

---

(٧) محمد الكوخي، الأمازيغية المعيارية بين اختلاق لغة جديدة وصناعة الوهم الأيديولوجي، مجلة تبيَّن للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ٧- المجلد الثاني- شتاء ٢٠١٤، ص ٢٩.

(٨) المصدر السابق رقم ٧، ص٣٧.

وقد رأى الكتاب **الحاجة إلى تأمل المسألة الأمازيغية** كدسترة الأمازيغية وحدود مطالبها، وحاجتها إلى النقد الذاتي، كما توقع اســـتمرار التعايش بين العربية والأمازيغية، فبَيْن الأمازيغية والعامية علاقة وطيدة جداً من تبادل للمفردات والتراكيب النحوية والصـــرفية، كذلك التقارب بين الأمازيغية والفصـــحى، فالرابح الكبير من "تصـــادم" اللغتين هي الفرنكفونية على حد قول المفكرين الذين دعو إلى التوحّد ضد الغزو الفرنكفوني الاستعماري، فالحقيقة أن اصطناع الصراع بين اللغتين سياسة فرنسية قديمة ص١٢٥، وأخيراً قدم الكتاب نقد وتقويم للخطاب الأمازيغي.

وانتهى الكتاب بالكلام عن **المدرسة المغربية واللغات** في الفصل السادس، فبيّن أن ما حدث بالمغرب هو فوضى لغوية وليس تعدد لغوي، فالميثاق الوطني للتعليم لم يضع أي تصور محدد من أجل ثورة لغوية أصيلة بل أسهم في تر سيخ التعددية اللغوية "المتوحـ شة" ص١٣١، والنتيجة أن ما يمتـ صه التعليم اللغوي من كلفة زمنية نفـ سية تم على حـ ساب الاكتـ ساب المعرفي في أهون الأ ضرار، أمّا في أقـ صاها فهو ما يتبلور في مظاهر شتى من الفـ شل والهدر المدرســـيين ص١٣٢، **فالتعددية اللغوية طموح غير واقعي وثمنه باهظ** على حد ذكر الكتاب، فعلى كل مغربي تعلم الأمازيغية (وهو شـــيئ مشـــروع) والعربية (وهذا ضـــروري) والفرنســـية (بوصـــفه واقعاً تاريخياً) والإنجليزية (بحكم الـ ضرورة الدولية) وأخيراً الإيطالية والإ سبانية (لأ سباب متعلقة بالجوار)، هذا ما سيُنتج مخبر للغات وليس فـ ضاء للتفكير ص١٣٣، والمفروض هو التمكن من لغة رســـمية واحدة يتم من خلالها إعدادهم للمشـــاركة في الحياة العامة والعلمية.

وقد أتى الكتاب على ذكر **المشكلات جراء التعدد اللغوي بالنسبة إلى الطفل والمجتمع**، منها أنه يؤثر سلباً على اللغة الأم، ونص علماء الـ سانيات أن التعدد اللغوي قد يكون من أقوى عوامل التفكك الاجتماعي والتخلف الـ شمولي، وقد أ ضحى و سيلة لتفكيك بنية المجتمع وتهديد تما سكه ووحدته ص١٣٥، كما ذكر أن من أهم فوائد التخلي عن تعميم اللغات الأجنبية ص١٣٧:

١) الاقتصاد في مالية التعليم وميزانيّته.

٢) توجيه أعلى نسبة من الممارسة الثقافية لذهن المتعلمين إلى المسميات بدل الأسماء.

٣) الولوج التدريجي إلى العربية في جميع حقول العلم ومجالات العمل.

٤) التماسك الاجتماعي والمحافظة على الأصالة وسلامة اللسان من الرطانة.

أما من **مشكلات التدريس الحالي للغة الفرنسية** ص١٣٨:

١) إمكانية الاستلاب في حالة عدم توافر المناعة المطلوبة، ولا سيما في طور الطفولة والمراهقة حيث القابلية للتأثُّر تكون على أشدها.

٢) اختيار نوع المنهجية المُتبعة.

٣) التركيز على المضمون أو الكفاءات أو المهارات اللغوية.

وخطورة التعليم الخاص بو ضعه الحالي تكمن في حدوث شرخ اجتماعي بين الطبقات العليا والمتو سطة وبين باقي الشعب، كما أنه سبب ظهور الإشكال اللغوي بالمغرب، لذا لزم الحرص على عدم توسع التعليم الخاص، وعلى مراقبته الإدارية ص١٤١.

وقد اتجه الكتاب **نحو طرح معالم ســـياســـية لغوية ســـليمة** أولها تعيين وظائف اللغات فقد رأى أن على الدولة المغربية مرا عاة مبدأين هما المشـــروعية ومبدأ الوظيفية والواقعية، فلا مناص من اختيار لغة وا حدة تكون الأساسية أو الأولى، فاختار العربية لتكون الأصلح للتدريس وليس العاميّة ولا الأمازيغية لما للعربية من مكانة علمية وتاريخية ولغِناها اللفظي وقدرتها على الاستجابة لكل المستجدات وغيرها من الأسباب ص١٤٣، وهذا ما قرره الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وعلى الرغم من ذلك فهناك عدة مشكلات لتعليم العربية ص١٤٩ منها:

١. على المستوى المنهاج والمقاربة البيداغوجية، تم اعتماد رؤية منهجية غير متكاملة.

٢. ما يتعلق بمستوى أطر التدريس، فإن ثمة ضعفاً في المستوى المعرفي واللغوي.

3. بخصوص المستوى البيداغوجي لظروف التعلم، فهناك عدة ملاحظات سلبية.

وقد خ صص عبد ا لسلام الم سدّي في كتابه ف صلاً كاملاً تحدث فيه عن كيفية الاكت ساب اللغوي ورهاناته وكيف أن اللغة ملكة، وتحصيلها قرين تعلّمها، ولا تعلم إلا بتعليم سواء أكان إرادياً أم غير إرادي، وكيف أننا مازلنا على الصعيد العربي_ لم نهتم بعدُ بدراس العلاقة الجدلية الحميمية نف سياً وذهنياً بين مراحل التعليم وخ صو صية اكت ساب المهارات الأدائية بوا سطة اللغة العربية حين تكون م ستوفية لكل أ شراط الإف صاح الإعرابي وقبل تلقّي القواعد النحوية بشكل نظري (٩).

(٩) المصدر السابق رقم ١، ص٣٤٧، ٣٥١.

وقد وضـــع الكتاب تصـــوراً ملائماً لتدريس اللغة الأمازيغية، واقترح تصـــوراً لتدريس اللغات الأجنبية في التعليم المغربي من أهم بنودها أن لا يكون إتقان هذه اللغات على كل التلاميذ العاديين، بل على كل باحث متخصـــص في حقل معرفي معين، فهم وحدهم القادرون على صوغ المضامين العلمية ص١٥٦.

وخاتمة الكتاب أكدت نتائج لحل قضية اللغة وخاصةً لغات المدرسة من حيث علاقتها بالهوية المغربية.

وأخيراً فإشكالية الهوية وخصوصاً المغربية موضوع ضخم وشديد التعقيد والتركيب، ويحتاج إلى تفصيل أكثر مما عرضه الكتاب هنا، فمسألة الهوية والجانب التاريخي للفرنكفونية والأمازيغية قضايا كبرى حقيقٌ بها أن تأخذ جهداً وتناولاً لم يحققه الكتاب مع إهمال بعض المسائل والأفكار كالعدالة اللغوية التي يتحقق بها العدل بين اللغات والتي تؤسس المشهد العام لدولة ما عبر تبنّي سياسة لغوية تعددية تعترف بحق كل جماعة لغوية في التعاطي بلغتها، فمبدأ المســـاواة الاجتماعية هو الذي يجعل من اللغة عنصـــراً ثقافياً اجتماعياً فاعلاً يؤكد وحدة المجتمع ويصـــوغ هوية ثقافية متعددة العناصـــر، وكعلاقة الهوية بالمعلوماتية متعددة الأبعاد كالبعد التكنولوجي باعتبارها أداة تُيسّر مهمّة دراسة الظواهر الإنسانية، والبعد الاتصالي كمسلك سيّار للمعلومة، وقد اعترف بذلك كاتبا الكتاب في مقدمته قاصدين تقديم صورة شاملة للقارئ غير المختص كمدخل عام ومتوسط الحجم.

"الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برق للأبحاث والدراسات "

جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برق للأبحاث والدراسات © ٢٠١٧